المرأة والشعر العاطفى

لكل فتاة مثلها العالى وعلى قدر تطلعها إلى الحياة يكون مبلغ أملها المنشود . وما من فتاة الا لها حظها الموهوب ، ولكل حظ نزعة توافق ميول صاحبته مرتبطاً بمعارفها وتربيتها وتعليمها : فمثلاً الفتاة التى نشأت فى عقر دارها بين بيئة تميل إلى احترام القديم المحدود النواحى المقيد الرغبات، هذه الفتاة قلما تنال حظها الموفور من العاطفة المرجوة وهى أبدا تطمع فى شىء محدود كل همها أن تهدأ اليه ، حتى اذ جاءتها الحياة بمثيل لما ترجو فرحت واغتبطت بالعطية ، على أنها اذا تركت وحدها فى الطريق تلفتت يمنة ويسرة كغريب فى دنيا جديدة ، كل ما تعلمه لا يخرج عن دائرة المعارف البسيطة التى لا تؤهلها عن جدارة لإدارة بيت جديد ، وهى التى حملت الرجال على استضعاف المرأة والتحفز دائماً الى امتلاك كل ما يطيب لهم .

أما الفتاة التى نالت من الثقافة والتحرر الفكرى قسطاً فهى التى تستحق بحق الدرس والتحليل لنبلغ بها غاية الكمال ، وهى مناط تفكيرى اليوم .

هذه الفتاة المثقفة المستنيرة التى فى استطاعتها السمو بنفسها على ضوء شعورها وادراكها وتفكيرها ، وهى التى تستطيع أن تخلق من هذه المعانى عاطفة جليلة عتيدة تحملها على الهروب دائماً من دنياها المحدودة الى دنياها اللامحدودة إذ تشعر أنها أشبه بالة صغير فى مقدوره أن يعيش لنفسه وللحياة ، وفى مقدوره أن يخلق ويبدع ، وفى مقدوره أن يشعر ويحس ويصور ما يريد .

هذه الفتاة التى تتعالى بنفسها إلى أعلى مراتب الحياة لا تقنعها ظواهر السطحيات بل تتغلغل فى أعماقها لتخرج مكنونها الدفين . هذه الفتاة خلقت لترينا مشاعر المرأة الكاملة وخيالاتها المارحة وأحلامها الساحرة ، وهى التى تشعرنا بروعة العاطفة الخطيرة عن طريق خيالها الخصب من وراء فلسفتها المتواضعة ، وبينا هى ترقب العوالم لترصد الافلاك تراها بجوارك كأنها حقيقة ملموسة وما هو الا خيالها يتلاعب بذهنك فى غير هوادة .

هذه الفتاة هى الفتاة الشاعرة ، وقد تختلف مشاعرها باختلاف أخيلتها ، فقد تعرضها فى شبه صور على لوح رسّامة ، أو مجسمة على حجر فخّارة ، أو على ورق بقلم شاعرة فنّانة .

هذه الفتاة التى تجتاز ربيع عمرها الشعرى فى شبه عمر المفكر الكهل يعيبون عليها « الشعر العاطفى » ولست أدرى أى معنى يعيبون ؟ أسُدّت دونهم أبواب الحقائق ؟ يالله ! بأى عين ينظرون ، وبأى قلب يشعرون ، وبأى عقل يفهمون ؟ أتراهم لا يفقهون ؟ !

أخشى ان يكونوا كذلك ونحن على عتبة جيل جديد نودُّ له الجدّة فى الميول والمشاعر والعاطفة النبيلة الطهور .

ثم أى دين حرّم على المرأة الشعور العاطفى وحلله للرجل ؟

المرأة التى خلقها الله إلهة للعاطفة وحدها ، أى قدرة تنزع عنها اليوم غلالتها السحرية ومن يجرؤ على تلك المحاولة ؟

لا ! انتم الخاطئون ان حسبتم عاطفة المرأة إثماً وبهتاناً .

على أنى لا أحاول هنا تصوير عاطفة المرأة ، ولكنى أحب ان أصوّر ناحيتها الشعرية وتأثيرها فى حياتها العاطفية ، وكيف يلعب الخيال دوره ببراعة على مسرح شعورها حتى يهيب بالمتمنين الى تصديق ما يعرض أمامهم على لوحة الشعر التصويرى .

يا لهول الحياة من المرأة الشاعرة ! انها تخضع الحياة لها فى غير تهيُّب بينما هى تخضع بدورها لخيالها الطليق الجبّار ، وعلى قدر نصيب المرأة من تذوُّق الفن يكون حظها من الشعور .

« هذه صورة فتى جميل الطلعة قوى البنية يجلس كالحبيس تحت ظل غمامة تسد أمامه الطريق ولا حيلة له غير الاطراق الكسير »

هكذا يبدو على لوح فتاة فنّانة ، أو هكذا صوّر بقلم فتاة شاعرة .

أترى صاحبة الرسم أو الشعر عاشقة ؟ أكاد أجزم ان كل من يشاهد الصورة أو يقرأ المقطوعه يعترف بذلك !

ولكن مهلاً ! دعونى أسألها معا : علامَ اخترت يا صاحبتى هذا الشابَ رمزاً لفنك ؟... وتفترُّ شفتاها عن بسمة العزاء . . .

وأقسم أنها ترنى الذهن المغرور ، وبعد أن تُلقى الفنانة محاضرة طويلة فى معنى الخيال والفن والشعور نفهم أن الرجل يماثل القوة والغمامة سحابة الأقدار ، ومنهما معاً جاءت بصورة ترمز إلى القضاء الغالب .

وها نحن أمام جوابها وتجاه رسمها نصمت اذن ! فالصور الفنية التى تبدو أمامنا ، وراءها دائماً ما وراءها من عوالم لا نراها بالعين المجردة ! بل لا بدّ من استصحاب المجهر ، ومجهرنا الفكر المحرر والخيال الخصب .

وقد تتعدد صور العاطفة المرغوبة حسب استعداد قوى المرأة المعنوية سواء أكان ذلك عن طريق قلبها أم روحها . وهناك فريق من الناس لا يفرق بين عاطفتى القلب والروح ، ولكنى أنا أفرق بينهما .

القلب عندى مولد كهربائى يمكن تحديد أضوائه حسب ما نبغى ، ولابد من وجود المؤثّر والمتأثر .

وهل يمكن لعليل القلب أن يحيا طويلا ؟ محال ! أما الروح فهى قوة الجذب المغطسة ، قوة الجذب التى تسير الأفلاك والعوالم كلها . فنحن نعرف انها كل شىء ومع ذلك فهى « لا شىء » وهى النور والحرارة معاً نحيا بهما ، وإذا فنينا يبقى السر خالداً طى الخفاء .

فالمرأة الشاعرة عند ما تجتاز حدود دنياها الى الفضاء اللامحدود تمرُّ بأخيلة لا عهد لها بها ، بعضها يروقها فيكهرب أعصابها حتى تعود مأخوذة بسحره ، وعلى ضوء هذا السحر الفياض تكشف لنا ما وراء الضوء أو ما يختبو خلف الظلام ، متحدثة عما تروم عن طريق نفسها كأنها هى الخيال الذى لقيته هناك ، حتى اذا قرأنا قولها حسبناه حقيقة لاريب فيها ، ولعلها صنعة جديدة لحبك الخيال ، وهى بحق جديدة لأنها تهيب بالرجال الاذكياء الى الاعتقاد بان قولها هو الحق ، بل يبلغ منها القدرة أحياناً على ان تحمل البعض منهم إلى تسمية هذا الطراز من النساء « الشاعرات الذاتيات » .

وهنا أمرّ على هذا التعريب الجديد دون أن أرمقه ما دمت قد وضّحت كيف يثور خيال المرأة الى تسطير ما ترجو ، وما دام الانسان أبداً متسرعاً فى الحكم على ما لا يعرفه .

واذا كنا نجهل ماجريات الكون العادية بعد أن قطعنا أعمارنا فى تفهُّم مغزاها

ومرماها ، أيمكن للرجل ـ مهما كان ـ أن يدرك كنه امرأة وهى لغز الغاز الكون ؟! إن من يجرؤ على تعريف ذلك أو تحديده يكون دعيّاً !

هذه فتاة لها حظها من الشعور الموهوب تعيش على ضوء خيالها قانعة بالحياة فى بهو أحلامها السمحة تحت تأثير الطبيعة أحياناً ، تواجه الشروق فيبهجها ويولد كهرباء أحلامها البهيجة فتجنح الى افق السماء ، وترتفع بنفسها الى مستوى الملائكة حيث يأخذها سحر الخيال ويروى عطش روحها الظمأى فتشعر وتدرك ، ثم تهبط الينا على شدو اعجابها بملاك !

فهل معنى ذلك أنها أحبت رجلاً وارتفعت به الى مصاف الملائكة هناك ؟ لماذا لا نقول انها تحب مثلها العالى المجهول شبيهاً بخيالها العالى ، ولماذا لا تترنم به كأنه شيء محسوس ؟ هل هنالك ضير من ذلك ؟ ويمكنها أن تقول :

سَلْنى مَليكَ عواطفى المحبوبا سلنى عن الحبِّ المُذيب قلوبا !

وهاهى فى موقف آخر أمام الغروب تبكى خيال الوداع لكل راحل ، وتتلاشى أمامها الحياة وراء اللاشيء ، فتطمئن الى دموعها وهى تنمهر فى شبه نقط لها معناها لو نظمتها لكانت قصدة رائعة ، وقد تتخيل الغروب ـ قلب الحياة ـ يحقق لآخر مرة فتودّ لو تفدى هذا القلب الكبير بقلبها الصغير وترضى بدموعها الشعرية عزاء وكأنها تقول :

أعطنى بالقلب شعراً إنه روحٌ طهورْ !

ومع أن التعبير ـ باعتراف شاعر ناهض ـ يكاد يشتبه فانى أعود وأعترف بأن المعنى غير شبيهه ، ولكلٍّ موضعُ خياله ، وسرّهما طى الخفاء

وقد يبلغ الفكر بالفتاة أحياناً إلى حد مهلك فتأمى بما تسوقه الاقدارُ إلى كل عظيم النفس كبير القلب ، وتستصغر ما تعانيه نفسها الهائمة الحيرى وتخاطب نفسها :

وأحيا فى الحياة ولست أدرى علامَ الفكر والأقدار تسرى ؟!

ومع اعترافها بذلك فانها تعود لتفكر حتى تتحطم قواها أو تكاد ! ورغم ذلك يحلو لها أن تفكر لأنها تعتقد أنه لابد من التفكير ما دامت تشعر ، ولابد من الشعور ما دامت تعيش . والفكر عندها وليد الشعور ، وعلى ضوئه يبدو التفكير بهيجاً ، أو حزيناً صاخباً أو هادئا .

ثم تعود وتكرر قولة يكارت: « أنا أفكر فأنا إذن موجود » ولكنها تحرف ما يلائمها من الألفاظ فتقول : « أنا أشعر فأنا اذن موجودة » ، لأن الشعور عند هاهو المولّد الكهربائى لكل فكر وعلى قدر نصيبها من الشعور يكون حظ الفكر من القوة أو الضعف .

تبكى المرأة على الفقيد بينما تضحك لاستقبال الوليد ...

تودع العزيز بدموعها ، وتستقبل الجديد ببسماتها . تحب الحياة ، ولا تخشى الموت. وتحب الكبرياء ، وتحاول التواضع !

تحب الشعر لأنه يشفيها وتبغض الشعر لأنه يبكيها !

تلهو بالخيال لأنه عزاؤها ، وتصور الآلام وهى سرّ بلائها !

تلك هى المرأة ذات العواطف فلا تطالبوها باكثر من تصوير ما يلائم عواطفها ثم غضّوا الأبصار إن تنزلت آياتها العاطفية على قلوبكم الحجرية بلا رنين ، فلكل وتر أشجانه !

هى تعزف بيد ليّنة ، وانتم تطالبونها بيد خشنة ، فاطلبوا من خالق السماوات وخالقكم أن يبدل النعومة بالخشونة لتكون الأجيال القادمة لاحسّ فيها ولا شعور .

المرأة التى أبحتم لأنفسكم استضعافها يمكنها أن تجتاز عوالم الاخيلة فى غير حقد أو ضغينة. تعترف بنبوغ القوى ، وتحترم ضعف الشقى . تحمل الأول على النهوض بنفسه ، وتعمل على مواساة الثانى . لا تحقد على ممتاز ولا تحتقر ضعيفاً ، إذ تعتقد ان فى يد الأمل مشعل الحاضر ، وفى يد الثانى مشعل المستقبل قرب أو بعد زمانه . أما أنتم يا من تفاخرون بقوتكم وعبقريتكم فكل ما يحلو لكم الوقوف على جل المكائد والمصائب والمحن ، ترصدون الهنات والسيئات وتوارون الحسنات ، وكأنه لا يطيب لكم غير الحرب والخصام !

أما المرأة فلا يحلو لها غير الأمن والسلام ، وما ضرنا لو تركنا كل شاعر يأخذ حظّه الشعرى من أى ناحية يرجوها ، وما علينا أن نقرأ شعره على ضوء خياله هو ، لا من وراء خيالنا القاصر فهو الذى رأى وتأثر وحكى وأنشد ، ولكن شعره أنيناً أو رنيناً !

لا تقولوا ما أضعف الشاعر وما أقواه افذلك إلحاد لحق مشروع ... ان الشاعر وسيط بين الفن الخفى والملموس ، فعلى الضوء العتب ان قصر وله الحمد إن أجاد .

والضوء هناك يرتكز فى قلوبكم وضمائركم وعيونكم فما ضرّكم لو قلتم : هكذا قلت ولكننا نحن نقول ...

ولكلّ اتباعه وانصاره ، وللتاريخ الأدبى كلمة العدالة المطلقة ، فلا تشوّهوها بفارغ الاقوال ودعوها للزمن .

لتكن المرأة مناط المشاعر ، ولتصوّر ما يحلو لها ما دام بريئاً فى غير كلفة أو رياء ، وليكن الرجل مناط التفكير .

وبهما معاً ترتفع الشعوب الى سماء الحق النزيه ؟

جميلة محمد العلايلى

فى ديوان الدكتور زكى مبارك

— لغته —

١ — لغته كلغة فصحاء الأمة وشعراء العصر الأموى ، وذلك شىء نادر فى هذا العصر مطلوب غير مبلوغ ، ومما نؤاخذه عليه إفراده نعت الجمع ، على كون النعت من « باب فعلاء التى مذكرها أفعل » فى قوله — كما فى ص ٢١ :

لم تُنسنى فتنةُ الدنيا وبهجتها ما فى شمائلك « الغراء » من فِتَنِ

فالصواب « شمائلك الغُرُّ » وهى لغة القرآن الكريم ولغة العرب كافة ، وليست من باب « أيام معدودات ومعدودة » .

٢ — وقال كما فى ص ٧٧ :

أو كنت رغماً من عـلا ئى أو عُلا قومى فتاكْ

والصواب « على الرغم » و « بالرغم » و « على رغم » و « برغم » . هذا هو الوارد فى كلام العرب والمتقبله المقـلُ ، فالنصب مستشكل سواء أكان المنصوب مفعولاً لأجله أم كان منصوباً على السعة ونزع الخافض . فأما الأول فلا يجوز لئلا

يكون « الفعلُ » بسبب رغم العلاء فينعكس المعنى ، وأما الثانى فألوف فى المتعدى إلى واحد حتى يكون متعدياً إلى اثنين ، ولكن قال عبدالله الخشاب ، فى قول الحريرى « ويسيرون القلب » ما نصه : « . . . والآخر أن يكون منصوباً على المفعول به فى أنه حذف حرف الجرّ فأفضى الفعل اليه كما قال : كأنى إذ أسعى لأظفر طائراً ، أى بطائر فهذا أيضاً لا يجوز لأن حذف حروف الجرّ وافضاء الأفعال الى المجرورة فتنصبها ليس بقياس ، انما هو موقوف على السماع لا يتجاوز به استعمالهم ، قد نصّ النحويون على ذلك فى كتبهم وهو أشهر من الاحتجاج له [1] » قلنا : والذى يستخلص من كلام المبرّد والأخفش فى قول الشاعر :

نحنّ فتبدى ما بها من صبابةٍ وأخفى الذى لولا الأسَى[2] لقضانى

بمعنى « قضى علىّ » ما يبيح حذف الجرّ — اطراداً — بشرط أن يكون فى الفعل شبه استعداد للنصب ، أى فيه قبول التضمّن بمعنى فعل مرادف له ، كقوله « تمرون الديار ولم تعوجوا » فقد ضمّنه « تجوزون » وما أشبهه ، أما فعل الدكتور « كنت » فهو ناقص فضلاً عن فقدانه خصيصة التضمن وهى الأولى .

٣ — وقال فى ص ٩٤ :

يا موقدَ النار فى صدرى مؤجَّجةً ولاهياً بين أزهار وأفنان

و « مؤجَّجةً » اسم مفعول من « أجّجها » وفى الاعراب « حال » من النار ، وزمن نشوء الحال متقدّم لزمن الفعل وشبهه ، وهو هاهنا « موقد » فيكون معنى البيت « يا شاعل النار فى قلبى وهى ملهَبَةٌ » مع أن النار لا تكون ملهَبة قبل الشعل ، لأن التهابها يبطل أن يقال فيها « شُعِلَتْ » وهى غير مطفأة ولا معدومة ، وكان الاولى أن يقول « يا تارك النار فى قلبى مؤججة » أو غير ذلك مما ينجيه من استشكال المعانى .

٤ — وقال فى ص ٩٧ :

تعالَ أهدِيك من روحى بعاصفةٍ تُرْدِى الأنام ومن قلبى بإعصارِ

فضمّن « أهدى » معنى « حبا » على لغة ، واستعمل معه الباء ، ولا نرى بأساً

---

(١) ص ٤٧ من استدراكاته على الحريرى (طبع اسطنبول) . (٢) الاسى جمع اسوة كريبة وزنى .

بذلك ونحن من المجددين ، ولكننا نؤاخذه على رفع « أهدى » على وجوب جزمه لأنه جواب الطلب ، وقد كرر الغلطة فى ص ١٢٨ فقال «تعالَ نحيي شهيد اللهو ثانيةً» فجزمُ جواب الطلب واجب لا جائز ، وهو متعين فى قول الدكتور ، والذى يبيح ترك الجزم كون الفعل قواماً لجملة نعتية أو حالية مثل « خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم» و « ذَرْهم فى غيّهم يعمهون» وليس ذلك بمتيسر فى كلام الدكتور .

٥ — وقال فى ص ٩٨ « لو يفصح الغيبُ يوماً عن مصائرهم » وجمع المصير « مصاير » بالياء لا بالهمزة ، لأن الياء أصيلة لا زائدة ، ولعله قد حمله على « المصيبة والمصائب والمنارة والمنائر» للخفة ، ولكن المرجح عندنا فى ذلك «الواوى» كالمنارة والمصيبة ، فانه ثقيل ، والمصائب والمنائر أخف من « المصاوب والمناور » فالفصيح « المصاير » .

٦ — وقال فى ص ١٠٤ :

لعمرى لئن أمسيت بالسقم ساهراً تخال الفراش الغض من وهج الجمر

« فقد أسهرت يُمناكَ بالأمس أمةً » والصواب « لقد » لأنه جواب القسم ؛ ومن ذلك قول مالك بن الريب المازنى :

لعمرى لئن غالت خراسان هامتى لقد كنت عن بابىْ خراسان نائيا

٧ — وقال فى ص ١١٣ :

كيف أصليتَنى من الهجر ناراً وحرمتَ العيونَ من أن تراكا

والفصيح المشهور « حرم فلان فلاناً كذا » فلعله قد ضمّنه معنى « منعتَ » على لغة ، وهو كثير التضمين ، ففى ص ٣١ يقول :

فاندبْ رجاءك فى دنيا وُعِدت بها آحالها الدهرُ مفنًى غير مأهول

مضمّناً « أحال » معنى « أصار وصيّر »

٨ — وقال فى ص ٩٨ :

حار النبيّون فى تطهير فطرتهم فما عسى نفع أمثالى وأشعارى ؟

مستعملاً فيه « عسى » على لغة « عسى الغويرُ أبؤسا» وهو عندى فصيح مقبول لموافقته العقل والنقل ، وماذا يريد النحاة بعد العقل والنقل ؟ إنهم يقولون إن

« عسى » للرجاء وهى فى هذا المثل للتوقّع البحت ، لأن قائلة المثل لم تكن ترجو أن يكون الغوير مَبْدأ ولا منحى .

٩ — وقال فى ص ١٠٧ :

تفانى فى النحول فلو تبدّى لها فطنتْ لخطرته العيونُ

ولم يرد فى كلام القدماء اسناد « تفانى » إلى فاعل واحد ، لأنه « تفاعل » للتشارك ، فان طُلب اسناده الى انسان واحد باحتذاء أمثاله من كلام العرب نحو « اضطرب فلان » أى ضرب بعض أعضائه بعضاً ، فقد يكون معناه « أفنى بعض أعضائه بعضاً » أو « احترب المكروب فى جسده » فكان فيه تفانٍ ، وعلى القول الأخير يتخرج كلام الدكتور على تكلف .

١٠ — وقال فى ص ١٢١ : « وأرسل الزفرة الحرّاء لاخةً » وفى قوله ضرورة شعرية هى مدّ المقصور « حرّى » حتى صارت « حرّاء » وكان فى غنًى عن ذلك بأن يقول مثلاً « وأرسل الزفرة الحرّى محرّقة » من « حرّقت تحريقاً أى بالغت فى الحرق » ومن الحق أن ليس فى الشعر ضرورة إلاّ ولها مَدفع ، لكن الشاعر فى وقت النظم لا يهتدى اليه ، وذلك كافٍ فى الاحتجاج للاضطرار بالشعر ، وهذا آخر كلامنا على لغة ديوان الدكتور — حفظه الله — ؟

مصطفى جواد

دعوة شاعر هندى

لإلقاء محاضرات فى اكسفورد

جاء فى برقية من لاهور أن السر محمد إقبال الشاعر والمحاضر المسلم المعروف تلقى دعوة من اللورد لوثيان بالنيابة عن نائب مستشار جامعة اكسفورد وعن أمناء رودس لإلقاء محاضرات عن تذكار رودس فى سنة ١٩٣٤ وقد وضعت هذه الخطة لكى تأتى جامعة اكسفورد بالاشخاص الممتازين البارزين فى الخارج فتتاح الفرصة لاعضاء الجامعة للاتصال بهم شخصياً والمناقشة معهم .

ومع أن بعض أدباء العرب قد حاضروا سابقاً بصفتهم المدرسية فى جامعات أوروبية ، فكم نتمنى لو أن أحد شعرائنا المشهورين كمطران أو ناجى أو العقاد تلقّى مثل هذه الدعوة ليساهم فى هذا التعاون الثقافى بين الشرق والغرب باسم العروبة ؟

يوسف احمر طبرة

شعر عصرى !

قال المتنبى فى قصيدته الخالدة راثياً جدّته :

ولو لم تكونى بنتَ أكرمِ والدٍ لكان أباكِ الضخمَ كونُكِ لى أمّا !

فزعم بعضُ المتعنتين أنه امتدح نفسه على حساب جعل جدّته لقيطةً ! كذلك عابوا عليه لمثل هذا التفسير المعكوس قوله فى سيف الدولة :

ويطلب عند الناس ما عند نفسهِ وذلك ما لا تدّعيه الضراغمُ !

واعتبروا ذلك ذمّاً فى موضع المدح وتجريداً لسيف الدولة من فروسيته ! وربما كانوا مخلصين فى نقدهم لما اتّصف به شعرُ المتنبى بالتركيز غالباً ، ولكن معنى المدح المزدوج فى هذا الشعر ظاهرٌ لكل ذى بصر باللغة وبشعر أبى الطيب .

وقد تفضل أحد الأدباء منتقداً فانتقد تحت العنوان السابق بيتين من قصيدتى « موت النسور » التى ظهرت فى « البلاغ » وفى ديوان « الينبوع » على هذا النحو من النقد المتعنّت الساخر ، وذهب غيرُه فى « كوكب الشرق » الى مثل ذلك عنى وعن غيرى من اعضاء « أبولو » وان أمنيتى الى الأدبيين أن يتقدما فى صراحة الى منبر هذه المجلة الشعرية بحريتها التامة فيستطيع مثلى وغيرى النقاش الحرّ الهادىء معهما لفائدة الشعر العصرى . وأمّا ما خلا ذلك من النقد الشاذ فلا يستحقّ الردّ عليه ؟

احمد زكى أبو شادى